مقالٌ مُحبط!

ماتت القرش وربا القمل!

ماتت القروش وتضخّم القمل الذي يعيش حول زعانفها لينظفها لها من الجلد الميت أو الحشرات التي قد تنمو علىٰ جسدها!

فنجد القملة في عالمنا تطفو وتتقلد المقاليد، ومن ثمّ نرىٰ التخبط حليف كل فصيل بيننا، وفي كل دائرة اجتماعية صغيرة أو كبيرة نلمس فساد الذوق العام حتىٰ بين المتخصصين والذين يعدّهم الجيل أعلامًا له وقدوة..

فسد الذوق فنمت طحالبُ الأدب وخطفوا الأضواء من أهل الصنعة وازداد الذوق فسادًا وتدنيًا وملأوا قلوب أهل الصنعة إحباطًا..

فإن أردت الشهرة عليك أن تكون مبتذلًا مجردًا من الحياء، تقول أي كلام لا علاقة له بترقية النفس ودعم السليقة كما هو الهدف من الأدب! ودليل ذلك الأغاني القبيحة التي تصم آذان أولادنا صباح مساء، والمسلسلات التي أصبحت نسبة نجاحها تتناسب طرديا مع بذاءة الألفاظ، وانحدار

الدلالات وإلهاب الشهوات لدىٰ الشباب، لتخلق منه وحشًا مصابا بسعار الإشباع

لا هم له إلا شهوات جسده..

فسدت الواجهة الدينية فلا يسود ويُسمع له إلا من رفع لواء الطاعة في الحرام قبل الحلال وتعاضدوا علىٰ ليّ عنق الآيات والأحاديث لتخدم أهواءهم ثم تُفْتح لهم الأبواق كي يسبوا الصحابة ويشككوا في الثوابت، فيصمون الآذان عن الحق ويشككون الشباب في دينهم ثم يصرخ الأب والأم (ابني ملحد) في حين يظل الشاب المجتهد في الطلب تتكالب عليه نفسه والدنيا وتمزقه كل ممزق..

فسدت الأسرة فلا نجد أمّـًا شابة واعية تحسن إدارة وقتها، ونفسها وزوجها وأولادها، فنجد انتشار الطلاق بأعداد غير مسبوقة، ونرىٰ الفاسد بين إخوته هو المهاب اتقاء لشره والفاسد في المؤسسات هو الباقي لأن خيوط اللعبة بيده..

لا أرىٰ الصورة سوداء بل هذا واقعنا للأسف ومن يتجاهله فهو شريكٌ في انتشاره فنحن نحتاج للوعي كحاجتنا للماء والهواء خاصة وسط هذه الفتن التي تعصف بالأمة بكل

طوائفها، شيبًا وشبانًا، وكل إنسان في مكانه مسؤول..

كيف نعود قروشًا؟

يجب أن نخرج من غيبوبة تجاهل الواقع لنعلم كيف ندير حياتنا؟ وعلينا أن نعترف بأنه:

لم تعد هناك مدارس فعدمنا المعلمة الأم والمعلم الأب.

لم تعد هناك الأخت الكبرىٰ (الأم) بسبب تحديد النسل فالغالب مكتف باثنين أو ثلاثة لا فجوة عمرية بينهم حتىٰ يعظم دور الأخت الأم أو الأخ الأب .

وللأسف حتىٰ خطيب المسجد الأمين شبه مفقود أو مكبل لا يمكنه تحويل مساره الذي رُسِم له!

لا أجد منفذًا سوىٰ الوالدين والأعمام والعمات والأخوال والخالات (اللُحمة الأسرية والأرحام) إن تيسر ذلك، انشروا الوعي بين الجيل وأعيدوا للدين والفطرة مكانتهما .

لا تتعاجزوا ولا يهزمنكم الإعلام والمفسدون، كن أنت نبراس أهلك وهاديهم لا يضرك من خذلك فإن للصالحين

كرامة عند الله يحفظ نسلهم ويثبتهم برحمته وبرغم ضعف هذا الحديث: «**إن الله ليدفع بالمسلم الصالح عن مائة أهل بيت من جيرانه البلاء**» إلا أننا نطمع في رحمة رب العالمين بهذه الأمة المكرمة والمنكوبة في آن .

لا تكن إمعة إن أحسن الناس أحسنت وإن أساءوا أسأت، بل كن مؤمنا قويًا له رؤيته لا تحركه أمواج الفساد بل يحركه يقين وفطرة سليمة، فالمؤمن القوي أحب إلىٰ الله من المؤمن الضعيف، ولا تيأس رغم انتشار الطحالب فقد بشرك حبيب الله بقوله:

«**لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي ظَاهِرِينَ عَلَىٰ الْحَقِّ لَا يَضُرُّهُمْ مَنْ خَذَلَهُمْ حَتَّىٰ يَأْتِيَ أَمْرُ اللهِ وَهُمْ كَذَلِكَ**».

فلماذا لا تكون أنت من هذه الفئة الظاهرة القابضة علىٰ الحق ولو بين أولادك وحدهم!

فقد كان المسلمون في الأندلس يتعلمون الدين واللغة في السراديب المظلمة وما ركنوا..

فهل مازال لدينا همة؟

أو مازال لدينا أسرة تحتضن؟

ابدؤوا من بيوتكم، عائلاتكم، أفراد العمارة التي تسكنونها، وزعوا المهام، كل فرد يقدم ما يجيده، أكملوا بناء ما سقط من قيم، كن مدرسة في بيتك حتىٰ تعود المدرسة لما كانت عليه.

كن خطيبا في زوجك وأبنائك حتىٰ تعود لخطبة الجمعة مكانتها.

كن مؤدِبًا حتىٰ تُنقذ ذوق ابنك من الفساد فلا يستسيغ قرآنا بعد ذلك ولا أدبًا عِياذًا بالله.

كن عالمًا بسلامة بفطرتك علىٰ الأقل؛ لتنقذ هذا الجيل، وخير لك أن تعيش مثقلًا بتحقيق هدف ما من أن تعيش قملة! ولكن انتبه مع هذا كله اتخذ من منهج نبيك قدوة فلا يشغلَنّك التهذيب عن الحكمة والموعظة الحسنة ولا يحولَنك الحرص لجلادٍ فظٍ لا أبٍ حنون .

لو تدبرنا أهداف التعليم النظامي في المرحلة الابتدائية لوجدناها لا تتعدىٰ أن يخرج الطفل يجيد القراءة والكتابة باللغتين العربية والأجنبية وجدول الضرب، لا أكثر ولا أقل، فلماذا نخضع لهذا التعقيم المتعمد للعقل والذي تفرضه

مناهج الدراسة النظامية، يجب علىٰ الوالدين وضع منهج مختلف ينهيه الطفل عند تمام العاشرة أو بعدها بقليل مثل (حفظ قرآن وحديث وشعر وبعض الفقه الضروري في الطهارة والصلاة والأخلاق) مع ما تفرضه المدارس كما سبق، ووسائل التكنولوجيا يسرت هذا الأمر كثيرًا..

لا تجعل مفرمة الدروس الخصوصية تأخذ ابنك بين تروسها، فيكفيك طالب علم واحد يؤدب ابنك ومعلم واحد يرسخ لديه مبادئ الحساب والقراءة والكتابة باللغتين وكفىٰ، قطعا سيتفوق علىٰ أقرانه، أريد لك أن تتخيل أنه في الإعدادية وقد حفظ القرآن أو معظمه وصحيح الحديث وبعض الشعر..

ستجده يستصغر ما يُدّرس له في مدرسته وسيفوق أقرانه ثم يشبع نهمه بعد ذلك بالقراءة الحرة المنتقاة في الدين والتاريخ والأدب، مع الاستدامة علىٰ دراسته النظامية.

دع عنك من يشككون في أهمية الحفظ، فهل سمعت يومًا عن عالم لم يحفظ!؟ قطعًا لم يحدث، إنما التنفير من الحفظ ما هو إلا حلقة من حلقات التجهيل التي تحيط بنا، ألم يقل أجدادنا: (التعليم في الصغر كالنقش علىٰ الحجر).

اغتنم صفاء حافظة ولدك وهو صغير؛ وأدخل فيها ما استطعت من دين ولغة وتدريب علىٰ التأمل، سيدفع به ذلك للمروءة والتأني وحسن التدبير والقدرة علىٰ القياس فيما يعرض له من أمور الحياة ..

نعم ليس بالضرورة أن نكون كلنا علماء لكن بالضرورة أن يكون كلنا واعين!

وفي النهاية أنت من تحدد الخطط المناسبة لظروفك وإمكاناتك فكل إنسان يعلم من أين تشرق شمس بيته..

لكن لا تستسلم لفكي الرحىٰ..

اللهم هيء للأمة أمر رشد وردها إليك ردًا جميلًا.